13me Année No. 631

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi 6-8 1945

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

دفـــاع بليـــغ

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرف الأستاذ صاحب « الرسالة » ما يعنيه بالبلاغة تعريفاً بليغاً حين قال فى كتابه الجديد الذى جمع مقالاته فى الدفاع عن البلاغة : « إنها هى البلاغة التى لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، إذ الكلام كائن حى ، روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل والجسم جماداً لا يحس »

وليس بهذا التعريف من ضير فى معناه لأنه بليغ ، وليس به من تقصير فى الإفادة لأنه جميل ، وليس به من نقص ، لأنه زاد على الغرض منه أنه أدى هذا الغرض فى نسق سائغ وبيان رائق . فما ذنب البلاغة إذن عند من ينكرونها ، لأنه كما يزعمون يدينون بمنفعة الكلام ، ولا يدينون بالزخرف المضاف إليه ؟

إن جماعة « النفعيين » فى مذاهب البلاغة العصرية يدعون أن العصر عصر سرعة ، وأن الزمن الذى تخطى فيه السيارة غير الزمن الذى تخطى فيه الإبل والخيل ، فمن أجل هذا ينبغى أن يكون له كلام غير كلام الأقدمين ، وبلاغة لا تجرى على أسلوب البلاغة قبل ألف عام

وهذا قول صحيح فى كل شىء إلا فى النتيجة التى يسحبونه إليها سحباً وهو كاره شديد التبرم والالتواء . فإن عصر السيارة الذى يعرفون به لم يعلمنا شيئاً إن لم نتعلم منه أن الفائدة لا تغنى عن الجمال ، لأنه لا يصنع السيارة للسرعة وكفى ، ولا يصنعها للراحة دون غيرها ، ولا يصنعها للمتانة ثم لا يبالى بما عداها ، بل يصنعها أول ما يصنعها لجمال المنظر وأناقة الصورة والاقتنان فى النموذج ولطف الحركة والأداة . وما من معمل فى الأرض يزاحم غيره فى سوق السيارات إلا جعل الزينة مقدمة على الغرض المفيد كما يسمونه ، وهو غرض السرعة فى الانتقال أو الراحة التى يستمتع بها المنتقلون . ولا تنزل المصانع إلى التزام المنفعة دون غيرها إلا فى أحط السيارات وأقربها إلى الابتذال ، وهى السيارات التى يعدونها لنقل الحجارة والتراب ، أو نقل البضاعة على أحسن احتمال ، وإنها مع ذلك لتنتقل إلى الحوذى الأنيق فيزينها ببعض الأصباغ والتعليقات ، ويدل بذلك على ذوق فى الحياة أرفع من ذوق البلاغة العصرية والبلغاء العصريين

فالسيارة ، أو عصر السيارة ، يعلمنا أن الفائدة ليست هى كل ما نتوخاه من الكلام ، وأنه إذا وجب على الإنسان وهو ينتقل من مكان إلى مكان فى عصر السرعة أن يزيد شيئاً على فائدة المركبة المقصودة ، فأحرى به أن يصنع ذلك وهو يمثل ذوقه وفكره وشعوره وجملة قدرته على التعبير ، لأنه قد ينتقل فى سيارة شائهة المنظر ، وهو مضطر إلى ركوبها كما قيل إن المضطر يركب

الصعب من الأمور ، ولكنه لا يضطر يوماً من الأيام إلى إهمال مزاياه التي يتفاضل بها المبرزون في الإبانة والجلاء والتأثير

ولقد تحدث أولئك البلغاء العصريون عن بلاغتهم العصرية ، فإذا بهم كالذي يتحدث عن السيارة فيعيب على الناس أن ينتقلوا في مركبة غير مركبة الحجر أو مركبة التراب ، لأن الغرض المفيد من صنع المركبات هو الانتقال السريع ، فما لهم إذن لا يجتزئون عن النماذج الفاخرة بهذه النماذج المبذولة ، وهي أقل في الثمن وأيسر في التكاليف ؟

لو كان هذا الكلام معقولا لكان تعرف الإنسان كله في تاريخه القديم وتاريخه الحديث غير معقول ، لأنه لا يكتفي بالفائدة في مطلب من المطالب ولا في عمل من الأعمال ، ولا يزال ينسى الفائدة في سبيل الجمال

وأغلب الظن أن تعريفات هؤلاء البلغاء العصريين للبلاغة لا تنتهي في حقيقتها إلا إلى تعريف واحد يصدق عليهم وعلى ما يفقهون من ذلك اللغط الرخيص ، وهو أن البلاغة هي ما يستطيعونه ولا يعجزون عنه ، فما استطاعوه من كلام ، فهو بليغ مقبول ، وما عجزوا عنه فهو من البلاغة السلفية ولو دارت ألفاظه وعباراته على أحدث الآراء

وستمضي العصور وراء العصور ، وتنتقل الكتابة من أسلوب إلى أسلوب ، ومن موضوع إلى موضوع ، ولكن العصور كلها عصر واحد في هذه الحقائق التي لا تقبل الشك ولا تأذن بالتبديل

وهي « أولا » أن الكلام الجميل مطلوب كما يطلب الجمال في كل غرض من أغراض الإنسان

وهي « ثانياً » أن البشر لن يستغنوا في زمن من الأزمان عن لغتين إحداهما تحتاج إلى درس وتعليم ، والأخرى تكتسب بالتلقين من الأفواه ، وإحداهما تصلح للتعبير عن معاني العلوم ولطائف الذهن وبدائع الخيال ، والأخرى لا تصلح لغير البيت والسوق

وهي « ثالثاً » أن التراث الأدبي تراث باق يتجاوز عمر الجيل والجيلين والثلاثة الأجيال ، وما كان كذلك لا يكتب باللهجة التي تتبدل كل جيل وتختلف من بلد إلى بلد ، وتستحدث بغير قاعدة ولا أصل تتفق عليه

ومتى كانت هذه الحقائق من وراء الشك والجدل ، فالدنيا لن تخلو من لغة خاصة ولغة عامة ، أو من لغة المفكرين وأصحاب القرائح والأذواق ، ولغة الجهلاء الذين لا يخلقون الصور الذهنية ولا يحسنون فهمها إذا خلقها لهم الآخرون

وإنه لأرحم بالناس وأكرم لهم أن يتعلم العامة كيف يفهمون الخاصة من أن يحرم على الخاصة أن يكتبوا شيئاً يعلو على مدارك العامة . إذ الواقع أننا لو استطعنا أن نكتب العلم والفلسفة بلغة السوق والبيت لم نرفع الصعوبة التي تحول بين الجهلاء وبين فهم تلك الموضوعات كائناً ما كان أسلوب الكتابة فيها

وأعجب العجب أن يقال أن الإنسان يتعلم ليحسن الطبخ واللبس والركوب ، ولا يتعلم ليحسن فهم جلائل الأفكار ومحاسن القرائح وروائع الفنون ، بل يخلق مستعداً لفهمها بما تلقاه من لهجات البيوت والأسواق

ويخطئ من يعتقد أن العامة من الأعراب كانت تفهم أقوال البلغاء ولا تتكلف دراسة لفهمها والنفاذ إلى معانيها ؛ فإن الذين فهموا تلك الأقوال البليغة كانوا أناساً يتعلمون ويحفظون الأمثال ويروون السير والأخبار ، ويعرفون الأنواء والنجوم ، ولا فرق بينهم وبين متعلمي العصور الحديثة ، إلا أن هؤلاء يتلقون دروسهم مكتوبة ، وكان أولئك يتلقونها منطوقة لا تثبت في كتاب . أما الذين لم يتعلموا على هذا النمط ، فقد كان يفوتهم فهم الشعر السهل فضلا عن الشعر البليغ ، ومن أمثلة ذلك تلك الأعرابية التي لامت زوجها على مدح الناس والترفع عن مدحها والتشبيب بها فقال :

تمت عبيدة إلا من محاسنها
فالحسن منها بحيث الشمس والقمر
قل للذي عابها من عائب حنق
أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر

ففرحت بهذا الهجاء وحسبته من أجل المدح والتشبيب ، وهكذا يفهم مثلها من يسمعه أبياتاً من الرجل السهل ، وهو عي الفهم ردئ المزاج ، فإن العامية لا تنفعه في فهم ما ينظم بها من زجل ، ولو كان قريباً إلى الأذهان

* * *

ولقد أصاب الأستاذ الزيات كل الإصابة حين أبطل قول المتحدثين عن البلاغة العصرية إنهم يدعون إلى مذهب جديد؛ فقال: « ربما يزعم زاعم أن هذه العامية الأدبية ترجع إلى مذهب من مذاهب الكتابة دعت إليه حال وبعث عليه تطور. فإذا جاز أن يكون هذا الزاعم، فالغالب في الظن أنه لا يعلم إذا كان يجدّ، أو لا يجد إذا كان يعلم. ذلك لأن المذهب الكتابي والشعري، إما أن يكون مرحلة تطور لمذهب يتقدم به مبتدعوه، وإما أن يكون رد فعل لمذهب يغار فيه متبعوه ... »

وليس في دعوة البلغاء العصريين إلى اللغة العامية أو إلى ما يسمونه بالأسلوب التلغرافي فكرة تسمى مذهباً أو تطوراً لمذهب، بل ربما كان التطور الذي حدث في العصور الأخيرة من أسباب سقوط الدعوة والعدول عنها إن كانت ناشئة قبل ذلك، لأن العامة يتطلعون في العصور الأخيرة بعد أن كان التعليم في العصور الغابرة وقفاً على السراة وذوي الأموال، فلا حاجة إلى الإسفاف باللغة من أجل العامة كما يزعمون، لأنهم في طريق المعرفة إن لم تتم لهم المعرفة جميعاً في هذه الآونة، وأياً كان الزمن الذي ينقضي قبل شيوع المعارف الأدبية بين سواد الناس، فما نعلم من أحد من أولئك القائمين القاعدين باسم أولئك السواد يمشي حافياً اليوم، لأن فقراء العامة يمشون حفاة، وينقضي زمن قبل أن يتوافر لهم جميعاً لبس الحذاء!

فالتطور الذي أشار إليه الأستاذ الزيات يرتد على البلغاء العصريين، ولن يزال مرتداً عليهم فيما يلي من السنين، وكلما ازداد نصيب العامة من العلم والدراسة قلت اللغة العامية وقل البلغاء العصريون وازدادت البلاغة التي دافع عنها صديقنا صاحب الرسالة فأحسن الدفاع

لقد كان دفاعاً جميلا، فلم يفبره الجمال ولم يصبه من ناحية الإفادة والإقناع. وقد دافع أناس عن بلاغتهم العصرية، فإذا هو دفاع غير جميل وغير مفيد، وإذا بهم يتكلمون باسم العصر وهم لا يفهمونه ولا يفهمون عصراً من العصور التي سبقته، لأن العصر الحاضر لم تعجله السرعة عن طلب الجمال، بل هو يسرع ويغار في سرعة ليدرك الجميل ولو تيسر له المفيد

عباس محمود العقاد

عم يتساءلون؟

للأستاذ أحمد رمزي

مشاكل العالم الجديد — حواجز اللون

في رقية من لندرة خبر سار يتلخص في أن بعض الجمعيات وجهت نداء قوياً يدعو لإزالة حواجز اللون في المستعمرات، وفي ذلك بشرى للأمم المهيضة الجانب، المتلوية على أمرها

وإنا معاشر المصريين، كأمة عربية، مهما قيل في أنسابها وأحسابها — نفرح ونتهلل لهذا النبأ إن صدق ما يدعون — نفرح لأننا من أنصار الحرية، ومن عشاق المساواة بين الأجناس، ونتهلل لأننا من دعاة الحق، ومن العاملين على نصرة الأمم المضطهدة، ورفع الحيف والظلم عنها

فنحن نعضد هذه الحركة، ونعدها من بشائر الدنيا القادمة، ونرى في نجاحها دعامة من دعائم إنشاء العالم الجديد، وندعو لها بالنجاح، ونصادق كل من يقول بها، ويكافح من أجلها، ويدعو بقلمه ولسانه إليها

لقد قرأنا الكثير مما كتب عن الشعوب الملونة، وضرورة إخضاعها لسلطان الأمم المتمدينة، وخلصنا بنتيجة هي أن تقسيم العالم وشعوبه إلى أبيض وأسود وأسمر، وإقامة الحواجز بينها، وحرمان الإنسانية من مجهود بعض الشعوب، إنما هو من عمل الإنسان وحده، ولا شأن للقوانين الطبيعية فيه

وإن النظريات التي تدعو إلى وضع فريق من البشر، في وضع لا يليق بالإنسان، مقضي عليها بالفشل، لأنها من بقايا عصور قد انتهت ...

ولا محل لها في العالم الجديد، الذي قيل عنه لنا، إنه يسير نحو الديمقراطية والتفاهم والتعاون، وإن الإنسانية تتقدم فيه نحو التساوي في إعطاء الفرص، للفرد وللجماعة بل وللشعوب، بدون نظر إلى جنس أو لون أو دين — فلا فضل لمسيحي على مسلم، ولا مزية لأوروبي على أسود

فهل سيقدر النجاح لهذه الدعوة الصالحة؟